نظرية التلقي عند فولفغانغ إيزر

د.ألاء ياسين دياب*

(الإيداع: 26 آيار 2025، القبول: 6 آب 2025)

الملخص :

يُعَدّ إيزر أهمَّ مُنَظِّر لـ نظريّة التلقّي، فهو الموجّه لها، وقد تأثّر كثيراً بنظريّات فكريّةٍ ولغويّةٍ مختلفةٍ، فلم يكن عمله نابعاً من فراغٍ، إنّما أفاد كثيراً من نظريّة فعل اللغة وعلم النفس والمنطق ونظريّة السّرد ونظريّة التواصل، وبهذا المعنى، يكون البحث محاولة للكشف عن أبعاد نظرية التلقّي كما قدّمها فولفغانغ إيزر، ذلك أنّ الأطر المعرفيّة لنظرية التلقي، رسمها كلٌّ من ياوس وإيزر، ففي حين ركّز ياوس على التلقيات الجماعيّة والتاريخيّة للأعمال الأدبيّة، نجد أنّ إيزر طوّر مفهوم القارئ، لذلك تتحدّد فرضية البحث في عرض إسهامات إيزر في تطوير النظرية، ويعتمد البحث على مقاربة تجمع بين الاستقراء والتأويل، وتتحدّد أهميته في كونه يفصل إجرائياً بين نظرية التلقي بوصفه مشروعاً فردياً لـ إيزر والتلقي بوصفه ثمرةَ جهدٍ جماعيٍ، هذا الجهد الذي نقل بؤرة الاهتمام النقدي من النّصّ في البنيويّة إلى القارئ فيما بعد البنيوية، وقد قُسّمَ البحث إلى خمسة مباحث، هي: المبحث الأوّل: التلقي، والمبحث الثاني: فولفغانغ إيزر، والمبحث الثالث: التلقي بين إيزر وياوس، والمبحث الرابع: التلقي بين إيزر وبارت، والمبحث الخامس: التلقي بين إيزر ودريدا.

الكلمات المفتاحية: إيزر، ياوس، بارت، دريدا، التفكيكيّة، التلقي.

* دكتوراه –قسم اللغة العربية كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة _ جامعة دمشق

Wolfgang Iser's Reception Theory

Ala'a Yaseen Diab

(Received: 25 May 2025, Accepted: 6 Augast 2025)

Abstract

Iser is considered the most important the orist of reception theory, as he is the guide of the theory. Iser was greatly influenced by different intellectual and linguistic theories. His work did not come out of nowhere, but rather benefited greatly from the theory of language action, psychology, logic, narrative theory, and communication theory. The research is an attempt to reveal the dimensions of reception theory as presented by Wolfgang Iser, as the cognitive frameworks of reception theory were drawn by Jauss and Iser. While Jauss focused on the collective and historical receptions of literary works, we find that Iser developed the concept of the reader. In this sense, the research hypothesis is determined by shedding light on Iser's contributions to the development of the theory. The research relies on an approach that combines induction and interpretation, and its importance is determined by the fact that it procedurally separates reception theory as an individual project for Iser and reception as a theory that is the result of a collective effort, this effort that transferred the focus of critical interest From the text in structuralism to the reader after structuralism, the research was divided into four sections, which are: The first section: Reception. The second section: Wolfgang Iser. The third section: Reception between Iser and Jauss. The fourth section: Reception between Iser and Barthes. The fifth section: Reception between Iser and Derrida

Keywords: Iser, Jauss, Barthes, Derrida, deconstruction, reception.

* **Faculty of Letters and Humanitarian Sciences- Damascus University**

مقدمة

يُعَدّ إيزر[25] أهمَّ مُنَظِّرٍ لـ **(نظريّة جماليَّات التلقّي أو نظريّة التلقّي أو نظريّة التأثير أو نظريّة التأثير والاتّصال)**، فهو عند جمهور قُرّاء الأنجلو أمريكيّة الدليل الموجّه لنظريّة التلقّي[26]، وقد تأثّر كثيراً بنظريّات فكريّةٍ ولغويّةٍ مختلفةٍ، فلم يكن عمله نابعاً من فراغٍ، إنّما أفاد كثيراً من نظريّة فعل اللغة[27] وعلم النفس والمنطق ونظريّة السّرد ونظريّة التواصل، فنظرية التلقي نقلت بؤرة الاهتمام النقدي من النّصّ في البنيويّة إلى القارئ فيما بعد البنيوية[28].

أسباب اختيار البحث

إنّ الأسباب التي دفعت للقيام بهذا البحث، تتجلّى في كونه محاولة للكشف عن أبعاد نظرية التلقّي كما قدّمها فولفغانغ إيزر، إذ يعرض البحث أهمّ آرائه التي أسهمت في إثراء النظرية، كما يقارب بين آرائه وآراء هانس روبير ياوس[29] ورولان بارت[30] وجاك دريدا[31].

الدراسات السابقة

أولاً: القصيري، نضال (2012م). التلقي النقديّ لأدب غادة السمّان/ إشراف: أ.د.وائل بركات، مشرف مشارك: أ.د. لطفيّة برهم. (أطروحة دكتوراة). جامعة تشرين. كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة.

يمكن تكثيف النتائج التي توصل إليها هذا البحث، فيما يأتي :

1. يتحقّق التحديد الشّامل لنظريّة التلقّي من خلال اندماج كلّ من مشروعي ياوس وإيزر اللذين أكّدا غير مرّة أهميّة التّداخل، والتّفاعل بين التلقيّ والتأثير؛ ذلك أنّ النظريّة تنطلق من التّفاعل بين النصّ والقارئ.

---

[25] **فولفغانغ إيزر Wolfgang Iser (1926–2007م):** من أبرز المُنظّرين لنظريّة المتلقّي والقراءة، وأحد أهمّ أقطاب مدرسة كونستانس الألمانيّة.
انظر: مجموعة من المؤلفين، **موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي، القرن العشرون المداخل التاريخية والفلسفية والنفسية**. مراجعة وإشراف: رضوى عاشور. المشرف العام: جابر عصفور. ط1. القاهرة : مصر. المجلس الأعلى للثقافة، 2005م، ص: 112

[26] انظر: سي هول، ر. **نظريّة الاستقبال مقدّمةٌ نقديّةٌ**، ترجمة: رعد عبد الجليل جواد، دار الحوار، اللاذقية: سورية، ط1، 1992م، ص:4

[27] **نظرية فعل اللغة:** هي نظرية الأفعال الكلاميّة التي تركّز على أنّ اللغة أداة لتحقيق أفعال، فلكلّ قول ثلاث خصائص أساسيّة هي: فعل دالّ لفظيٌّ، وفعل إنجازيّ أو وظيفيّ، وفعل تأثيريّ.

[28] يعتقد كثيرون أنّ ما بعد البنيويّة هي التسميّة الفرنسيّة لـ ما بعد الحداثة، في حين يرى بروكر أنّهما يشتركان في إحساسٍ عميقٍ في الشّكّ الوجودي، فهما تطبيقٌ نقديٌّ مشتركٌ لأفكار النظام والوحدة في اللغة والفنّ والذاتيّة، ويشكّلان حدّاً للقواعد الثابتة القديمة، ويزلزلان أسس الثوابت السياسيّة الراسخة، ويلتقيان في الاتجاه نحو التعدد والانفتاح واللامركزيّة، فهما نزعتان، تقعان على النقيض من الوحدة والتمركز في الحركة الحداثيّة.
انظر: بروكر، ب. **الحداثة وما بعد الحداثة**، ترجمة: عبد الوهاب علوب، منشورات المجمع الثقافي، دبي: الإمارات العربية المتحدة، 1995م، ص:13.

[29] **هانس روبير ياوس Hans Robert Jauss(1921–1997م)** : هو عالمٌ ألمَاني، أسّس مجموعة البحث الأولى مع (فولفغانغ إيزر Wolfgang Iser) (الشعر والهيرمينوطيقا) سنة1963م. والثانية عُرِفَتْ بمدرسة كونستانس، نسبة إلى الجامعة التي انتقل للتدريس فيها سنة 1967م.
انظر: مجموعة من المؤلفين، **موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي، القرن العشرون المداخل التاريخية والفلسفية والنفسية**، ص:123

[30] **رولان بارت (1915–1980م):** فيلسوفٌ وناقدٌ فرنسيٌّ، تتوزع أعماله بين الحداثة وما بعد الحداثة، ويعدّ من أعلام ما بعد الحداثة، من أبرز مؤلفاته: (موت المؤلف–1967م) و(الكتابة في درجة الصفر–1953م).
انظر: مجموعة من المؤلفين، **موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي، القرن العشرون المداخل التاريخية والفلسفية والنفسية**، ص89

[31] **جاك دريدا Jacques Derrida(1930–2004م):** فيلسوفٌ وناقدٌ فرنسيّ، ولد في الجزائر، يُعدُّ المؤسّس الفعليّ لنظريّة التفكيك، ويُنظر له بوصفه واحداً من أهمّ فلاسفة القرن العشرين.
انظر: مجموعة من المؤلفين، **موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي، القرن العشرون المداخل التاريخية والفلسفية والنفسية**، ص: 89

2. عمد إيزر إلى تقديم جملةٍ من المفهومات، تتمثّل في **(القارئ الضّمني)** الذي يشكّل بنية نصيّة تتوقّع حضور قارئ ما؛ لتقيم جسراً بينه وبين النصّ الأدبيّ، ومفهوم **(الذّخيرة)**؛ أي منطقة التقاء النصّ الأدبيّ مع القارئ، من أجل البدء بعمليّة التّواصل، ثمّ مفهوم **(الإستراتيجيّات النصيّة)** التي تقوم بفعل إرشاد القارئ وتوجيهه في أثناء سيرورة القراءة، فتساعده على تحقيق موضوعه الجماليّ، ثمّ مفهوم **(وجهة النّظر الجوّالة)** التي تتيح للقارئ أن يتجوّل في فضاء النصّ الأدبيّ، كاشفاً خلال ذلك عن المنظورات المختلفة التي يرتبط بعضها ببعض، وأخيراً مفهوم **(الفراغات)** التي تشكّل الأساس الذي يُبنى عليه التّفاعل بين النّصّ الأدبيّ و القارئ.

المبحث الأوّل: التلقي

انطلقت نظرية التلقي من تجاوز النّصّ والمؤلف؛ وفعّلت دور القارئ بمنحه سلطاتٍ مطلقةً في تحديد الدلالة وخلق المعنى، لكنّها أغرقت في الأُطر النظريّة، ممّا عمّق الخلاف حول معنى النّصّ عند النقاد، إذ يبقى هدف القراءة النقديّة هو تحديد المعنى، لذلك لمّا نصل بعد إلى منهجٍ قادرٍ على دراسة النّصّ الأدبيّ وتحديد فعاليته من خلال تصورٍ نقديّ متكامل الأبعاد، وذلك يتحقّق عندما نحلّل النّصّ برؤى منهجيّة عدّة.

وحسب نظرية التلقي، يمكن تصنيف المؤثرات في تحديد معنى النّصّ إلى:

1. خبرة المتلقي[32]:
   أ. الإدراك
   ب. الحدس
   ت. ركائز اللغة
   ث. الفهم
   ج. اندماج الآفاق
2. ما هية الإبداع[33] .
3. التوحد الجمالي[34].

وقد غدا المصطلح مشكلة في النّقد الغربيّ بسبب اختلاف دلالة الكلمة بين اللغات الأوربيّة، لأنّه أقرب إلى الإدارة الفندقيّة منه إلى الأدب، في حين أنّ الاستقبالَ النّقديّ العربيّ، بدأ منذ أوائل الثمانينيّات، إذ ظهر مفهوم التلقّي وما يتبعه وما يلحق به في الأدبيّات النّقديّة العربيّة المعاصرة، فضلاً عن الزّيارة التي قام بها إيزر للمغرب الأقصى مشاركاً في" ندوة التلقّي والتأويل" التي نظّمتها كلّيّة الآداب بالرباط ومؤسّسة كونراد أديناور، وجرت أعمالها بمدينة مراكش بين 26–28 / 11/ 1993 [35] .

وقد تعدّدت مصطلحات هذه النظريّة بتعدُّد النّقّاد الغربيّين المنتمين إليها، وهذا التعدُّد انتقل بدوره إلى النّقد العربيّ، فهي نظريّةُ جماليّات التلقّي أو نظريّة التلقّي أو نظريّة التأثير أو نظريّة التأثير والاتّصال. لكنّ التلقّي مشتركٌ بين

---

[32] انظر: ناصف، مصطفى. **اللغة والتفسير والتواصل**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت: الكويت، ط1، 1995م، ص: 212.

[33] انظر: راي، و. **المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التفكيكية**، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، دار المأمون، بغداد : العراق، 1987م، ص: 37

[34] انظر: هولب، ر. **نظريّة التلقّي مقدمة نظريّة**، ترجمة: عزّ الدّين إسماعيل، المكتبة الأكاديميّة، القاهرة: مصر، ط1، 2000م، ص:68

[35] **"بدا إيزر سعيداً باقتراحنا ترجمة فصول من عمله هذا إلى العربيّة؛ ولأنّنا لم نكن نتوفّر إلّا على الترجمة الفرنسيّة، فإنّه أرسل إلينا نسخةً من الطبعة الإنجليزيّة عند رجوعه إلى ألمانيا"**. انظر: إيزر، ف. **فعل القراءة، نظريّة جماليّة التجاوب (في الأدب)**، ترجمة: حميد لحمداني، الجلالي الكدية، مكتبة المناهل، فاس: المغرب، 1995م، ص: 3 .

النظريّات كلّها، وإضافة النظريّة إليه لا تعطيه تخصيصاً[36] كما رأى ناظم خضر، أي إنّ الاضطرابَ الاصطلاحيّ بقي قائماً، فكتاب نظريّة التلقّي لمؤلّفه روبرت هولب، تُرجم مرّتين إلى اللغة العربيّة، الأولى لـ رعد عبد الجليل جواد في 1992م الذي ترجم عنوان الكتاب بـ **نظريّة الاستقبال مقدّمة نقديّة**، والثّانية لـ عزّ الدّين إسماعيل في 1994م الذي ترجم عنوان الكتاب بـ **نظريّة التّلقّي مقدّمة نقديّة** مفضّلاً استخدام كلمة التلقّي على كلمة الاستقبال، مع أنّ الترجمةَ الحرفيّةَ_ كما يقول_ هي نظريّةُ الاستقبالِ إلّا أنَّ كلمة التلقّي أقربُ إلى الدّلالةِ المقصودةِ، وهي تلقّي القارئ للنّصوص الأدبيّة[37]، والتلقّي هي الترجمةُ العربيّةُ الأكثر شيوعاً إذ وردت عند الدكتور غسّان السّيّد[38] وحاتم عبد العظيم، أمّا محمّد المبارك، فيعدّد المصطلحات المستخدمة وهي: التلقّي، القراءة، الاستقبال، والاستجابة، ثمّ يستقرّ على مصطلح التّلقّي، إذ عدّه جامعاً لما سبقه من مصطلحاتٍ[39] ، وهذا يتّفق مع ما ذكره محمّد عزّام إذ رأى أنّ المصطلحات الأربعة: (نظريّة التلقّي، القراءة، نظريّة الاستقبال، نظريّة استجابة القارئ) تحمل معنىً واحداً، لكنّه فضّل التلقّي؛ لأنّ التلقّي يُمثّل عمليّةً فاعلةً في الفهم والتقييم وإعادة الإنتاج الأدبيّ[40] ، أمّا عبده عبُّود فقد رجّح مصطلح الاستقبال " **لفوائد عدّةٍ، أبرزها أنَّ هذه الكلمة هي المعادل الأصحّ معجمياً، وأنَّ الاشتقاق من فعل استقبل أيسر من الاشتقاق من فعل تلقَّى المعتلّ الآخر، ناهيك أنَّ هذا الفعل ليس المعادل المعجميّ الصحيح لفعل Regipieren الألمانيّ**[41]"، لكنّ هذه الترجمة وجدت كثيراً من المعترضين؛ لأنَّ هذا المصطلح غريبٌ وغير مألوفٍ في الخطاب النقديّ العربيّ لاشرقاً ولاغرباً[42]، أمّا مصطلح القراءة فنجده عند عبد الملك مرتاض من منطلق أنَّ هذا المصطلح يشمل النّظرية عامّةً بكلّ مفاهيمها وإجراءاتها[43]، لكنَّ هذا الاستخدام لم يتّسم بالدّقّة والتحديد. أمّا نبيلة إبراهيم فقد رأت أنَّ الترجمة الصحيحة هي نظريّة التّأثير والاتّصال، على اعتبار أنّ العلاقة بين النصّ والقارئ تسير في اتّجاهين متبادلين، أي إنّ القارئ يتأثّر بالنّصّ ويُؤثّر فيه" **ولهذا فإنّ أصحاب هذه النّظريّة لا يُسَمُّون نظريّتهم نظريّة الاستقبال بل يُسمُّونها نظريّة التأثير والاتّصال Wirkungs und Communikations Theorie**[44]"، في حين يرى ناظم خضر تثبيت مصطلح جماليّة التلقّي لما يحمله من إشارةٍ إلى جماليّة هوسرل وإنغاردن في دعوتهما إلى إنتاج المعنى من خلال الذّات الفاهمة للظواهر[45]، وبهذا تكون مصطلحات القراءة، الاستجابة، الاستقبال، التقبّل والجماليّة غيرَ مناسبةٍ، ويسانده في هذا الرأي عبد الكريم شرفي، ويرى أنَّ هذا

---

[36] انظر: خضر، ناظم عودة. **الأصول المعرفيّة لنظرية التلقّي**، دار الشرق، عمان: الأردن، ط1، 1997م، ص:14 .

[37] انظر: هولب، ر: **نظريّة التلقّي مقدمّة نظريّة**، ص 25، هامش

[38] انظر ما أورده الدكتور غسّان السّيّد في كتاب (في نظريّة التلقّي)، إذ تضمّن الكتاب مقالاً للدكتور غسّان السّيّد معنوناً بـ(**عن تطبيق المناهج النقديّة الأدبيّة على الأدب العربيّ: نظريّة التلقّي نموذجاً**) . انظر: عدة مؤلفين. **في نظرية التلقّي**، ترجمة: الدكتور غسّان السّيّد، دار الغد، دمشق: سورية، ط1، 2000م، ص:109–132 .

[39] انظر: المبارك، محمّد. **استقبال النصّ عند العرب**، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت: لبنان، ط1، 1999م، ص: 30

[40] انظر: عزام، محّمد. **التلقّي والتأويل، بيان سلطة القارئ في الأدب**، دار الينابيع، دمشق: سورية، ط1، 2007م، ص: 79

[41] عبود، عبده. **هجرة النصوص، دراسات في الترجمة الأدبية والتبادل الثقافي**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق: سوريا، ط1، 1995م، ص:237.

[42] انظر: عبّاس عبد الواحد، محمود. **النّصّ وجماليات التلقّي بين المذاهب الغربيّة الحديثة وتراثنا النقديّ**، دار الفكر العربيّ، القاهرة: مصر، ط1، 1996م، ص: 13 .

[43] انظر: مرتاض، عبد الملك. **نظريّة القراءة _ تأسيس للنظريّة العامّة للقراءة الأدبيّة**، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر: الجزائر، ط1، 2003م، ص: 28.

[44] إبراهيم، نبيلة. القارئ في النّصّ، نظريّة التأثير والاتّصال، **مجلّة فصول**، الهيئة العامّة المصريّة للكتاب، ع1، مج: 5، القاهرة: مصر، 1984م، ص: 101–102 .

[45] انظر: خضر، ناظم عودة: **الأصول المعرفيّة لنظرية التلقّي**، ص:15–16 .

المصطلح يحيل على نظريّتي التلقّي التي أسَّسها ياوس والتأثير التي أسَّسها إيزر[46] ، أمّا الناقد حسين الواد، فيقدَّم مقابلاً عربيّاً هو جماليّة التقبُّل[47]، في حين اكتفى محمّد ملياني بتتبُّع أثر المصطلح في التراث العربيّ بدءاً من القرآن الكريم؛ لكنّه لم يقدّم بديلاً عربيّاً من المصطلح، نظراً لأنّها مهمّةُ المعاجم الحديثة [48]. وفيما يلي قائمة بأهمّ مصطلحات نظريّة التلقّي في الألمانيّة، وترجمتها المختلفة إلى العربيّة ، أوردها د. عبده عبّود في كتابه " هجرة النصوص"[49].

المصطلح بالألمانيّة	الترجمة العربيّة	ملاحظات والصيغة البديلة
Astheitische erfahrung	الخبرة الجماليّة	التجربة الجماليّة
Asthetische distanro	المسافة الجماليّة	التباعد الجماليّ
Apologie	اعتذار	أسس _نظريّة_ دفاع
Akt des lesens	سلوكيّات القُرَّاء	فعل القراءة، عمليّة
Geschmack	الذائقة	الذوق
Horizont–verschmelzung	أفق مدمجة/ دمج الآفاق	انصهار الآفاق
Historischer h	أفق التاريخ	الأفق التاريخيّ
Indivuerller h	أفق الفرد	الأفق الفرديّ
Immanente interpr etation	التحليل الداخليّ	التفسير الضمنيّ
Kommunikation	الاتّصاليّة	التواصل
Beerstelle	الفراغ _الشاغر	الموضع الفارغ
Negative asthetik	جماليّة السلبيّة	الجماليّة السلبيّة
Pravokation	المُثير	الاستفزاز / التّحدّي
Realisation	التجسيم/ المحسوسات	التجسيد/ التحقُّق
Repertpaire	ذخيرة	احتياطيّ/ مخزون
Sinnpotential	الموضوع الكامن	المعاني الكامنة
Thema	الثيمة	الموضوع
wirkungsgeschihte	التاريخ الفعَّال/ التاريخ المؤثّر	تاريخ الفعاليّة/ تاريخ التأثّر

[46] انظر: شرفي، عبد الكريم. **من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة– دراسة تحليلية نقديّة في النظريات الغربية**، الدار العربية ناشرون، الجزائر: الجزائر، ط1، 2007م، ص: 143–145 .

[47] انظر: الواد، حسين. من قراءة النشأة إلى قراءة التقبّل، **مجلّة فصول**، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ع1، مج: 5، القاهرة: مصر، 1984م، ص: 118 .

[48] انظر: ملياني، محمد. تلقّي النّصّ الأدبيّ بين التأسيس والآفاق، **مجلّة الموقف الأدبيّ**، اتحاد الكُتّاب العرب في سورية، ع403، دمشق: سورية، 2004م، ص: 45–46 .

[49] انظر: عبود، عبده: **هجرة النصوص، دراسات في الترجمة الأدبية والتبادل الثقافي**، ص: 242 .

المبحث الثاني: فولفغانغ إيزر

طوّر إيزر مفهوم القارئ، ووضع إستراتيجيّة للقراءة، تتحدد ملامحها في ثلاثة عناصر، أولها: النصّ، وثانيها: كيفية مقاربة النّصّ بالقراءة، وثالثها:البنيّة الإبلاغيّة للأدب، وقد عزّز إيزر هذه الإستراتيجيّة بجملة من المعطيات، وهي:

1. للعمل الأدبيّ قطبان: القطبُ الفنيُّ (النصّ) والقطبُ الجماليُّ (التحقُّق عند القارئ).
2. العمل الأدبيّ ليس النصّ وليس القارئ، بل ما يقع بينهما.
3. علاقة القارئ بالنصّ علاقةٌ تفاعليّةٌ تشاركيّةٌ، يصعب تحديد معالمها.
4. القارئ الضمنيّ أساسُ فعل القراءة، بوصفه بنيةً نصّيّةً، تنتجُ المعنى.
5. مفهوم وجهة النّظر الجوّالة التي تعني انتقال القُراء بين المستويات النصّيّة.
6. عمليّة ملء الفراغات/الفجوات: إذ على القارئ أن يردم الفراغات بالتأويلِ، ومن ثمّ ينتج المعنى، ويكشف المسكوت عنه في النّصّ.
7. مفهوم الإستراتيجيّات: وهي أدواتٌ تنظِّمُ الرصيدَ المعرفيّ والأدبيّ للنصّ، فتشكّلُ إطاراً مرجعيّاً وسياقاً يتقاسم مع القارئ تجربته وخبرته، وبهذا يكون النّصُّ عند ياوس غايةً في حين يشكّل عند إيزر أداةً للتوصيل.

المبحث الثالث: التلقي بين إيزر وياوس

خالف إيزر ياوس في المعالجة اللغويّة لنظريّة التلقّي، ففي حين اهتمّ ياوس بالتاريخ الأدبيّ عند تلقّي النّصّ، نظر إيزر إلى أنّ سيرورة القراءة، تقوم على نوعين من الصراع، أوّلهما: التوتُّرُ القائمُ بين السّنن الاجتماعيّ والثقافيّ للقارئ والطبيعة الحديثة للنّصّ، فالنّصوص الأدبيّة تعيد تسنين السّنن بالانتقاء والتوليف. وثانيهما: ينشأ من كون البناء المتماسك يؤدّي إلى متواليات فكرٍ موجودةٍ في ذهن القارئ، وذلك بتتبُّع التّوجيهات التي عرضتها العلامات اللسانيّة في النّصّ، إذ إنّه يتّخذ من مفهوم وجهة النظر المتحرّكة الأداة الإجرائيّة في تحليله الهرمينوطيقي[50] لسيرورة القراءة [51]؛ فانفتاح النصّ لا يكون إلّا بتعدُّد القراءات وبسلسلةٍ من التلقّي، وبهذا تكون القراءة تعميقاً للوعي الذاتيّ بالنّصّ، فالتلقّي محاولةٌ لاكتشافِ الذاتِ، وهي عمليّةٌ تشاركيّةٌ بين النصّ والمتلقّي، تتيح للنّصّ أن يكون مفتوحاً على قراءاتٍ لا حصرَ لها، ممّا يقودنا إلى تعدُّديّةٍ دلاليّةٍ، فلا نستطيع تحديدَ الدّلالةِ إلّا من خلال " **صلاحيّةِ المقروئيّةِ الإنتاجيّةِ التي تسبرُ الأعماقَ، وإنّ النّصّ بوصفه تتويجاً للانفتاح، عليه أن يحوي قدراً كبيراً من القواعد الجماليّة المؤهّلة لذلك، من منظور أنّ هذه المواصفات الجماليّة، تضعنا أمام تحقيق فعل النّصّ الأوّل، تشترك فيها بصمات القارئ المنتج عبر توالديّة الأطروحات والأفكار**[52]". فانعكاس النصّ يُمهّد لعمليّة الفهم ومن ثمّ الإدراك

---

[50] **الهيرمينوطيقا Hermeneutique**: نظريّةُ التأويلِ، وليس هناك حدودٌ تُؤطِّر هذا المصطلح سوى البحث عن المعنى والحاجة إلى توضيحه وتفسيره.

انظر: الرويلي، ميجان . البازعي، سعد: **دليل الناقد الأدبي_ إضاءة لأكثر من سبعين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً_**. ط3. الدار البيضاء: المغرب. المركز الثقافي العربي، 2002م، ص: 177

[51] انظر: شرفي، عبد الكريم: **من فلسفات التأويل إلى نظريّات القراءة– دراسة تحليليّة نقديّة في النظريات الغربيّة**، ص: 207 .

[52] عزيز محمد عدمان. دور الانفتاح في قراءة النصّ الأدبيّ، **عالم الفكر**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ع23، مج 37، الكويت: الكويت، 2009م، ص: 80 .

الجماليّ له، والقارئ هو العنصرُ الفعّالُ والمهيمنُ في إثراء النصّ الأدبيّ على حدّ تعبير عبد الملك مرتاض[53]، وبالعودة إلى المحاورِ التي أسهم إيزر في التّنظير لها، نرى:

1. **للعمل الأدبي قطبان، القطبُ الفنيُ (النّصّ) والقطبُ الجماليّ (التحقّق عند القارئ):** فالعملُ الأدبيُّ ينجز حين يقرأ القارئ النصّ، ويتفاعل معه بتأويلاتٍ يحتملها النّصّ، والتأويل في نظر إيزر هو " **الذي يمثّل العمليّة الكلّيّة للتّفاعل**[54] "، وهذا التأويل يتنوّع ويتعدّد؛ لأنّه لايوجد إطارٌ مرجعيٌّ منضبطٌ، يحكم علاقة القارئ بالنّصّ، ومن ثمّ سيكون هذا التنوّع مثمراً لعمليّة التواصل.
2. **العمل الأدبيّ عند إيزر ليس هو النّصّ وليس هو قارئ النّصّ بل** يجب أن يقع في مكانٍ ما بين الاثنين، فالعلاقة بين النّصّ والقارئ لاتسير في مسارٍ واحدٍ، إنّما عمليّةٌ تفاعليّةٌ، تتأثّر بالمتغيّرات؛ لذلك استصعب إيزر أن يعرّف العمل الأدبيّ فـ" **من الصعب وصف هذا التفاعل ...فإنّ الشريكين في عمليّة التواصل _أي النصّ و القارئ_أسهلُ تحليلاً من الحدث الذي يقع بينهما** [55]".
3. **القارئ الضمنيّ:** تتنوّع آليّات الاستجابة عند المتلقّين، فإذا كان ياوس ينطلق من مفهوم أفق التوقُّع، والمسافة الجماليّة، فإنّ إيزر ينطلق من فعل القراءة الذي يقوم به المتلقّي بالربط بين المستويات النّصّيّة المختلفة، بهدف سدّ الثغرات والبحث عن المسكوت عنه، ويبدأ فعل القراءة من ركيزةٍ أساسيّةٍ هي مفهوم القارئ الضمنيّ، وهو قارئٌ موجودٌ داخل النّصّ، يمثّل الحدَّ الأدنى للوعي والتجربة التي يُبنى عليها فعل القراءة كاملاً. فارتباط إيزر بالنصّ يبدو أكثر انطلاقاً من تأثُّره بفلسفة الظواهر[56]، التي ترى العلاقة بين القارئ والنّصّ موازيةً للعلاقة بين الذات والموضوع، وترى التفسير جدلاً قائماً بين النّصّ والقارئ، ينطلقُ فيه القارئ من المستويات الأدنى للبنية النصّيّة إلى المستويات الأعلى في حركة ذهابٍ وإيابٍ. فالقارئ الضمنيّ لا يقرأ النصّ من خارجه، وليس هو القارئ الفعليّ الذي يمكن أن نتصوّره في عمليّة قراءةٍ ميكانيكيّةٍ؛ إنّه بنيةٌ نصّيّةٌ وحالةٌ من حالات إنتاج المعنى. ويقول إيزر :"**إنّه علينا أن ندرك التأثيرات الناتجة والاستجابات التي تثيرها الأعمال الأدبيّة، ولابدَّ أن نسمحَ بحضور القارئ دون تحديد مُسَبَّقٍ لشخصيَّته أو لموقفه التاريخيّ، وقد نطلق عليه القارئ الضمنيّ إن أردنا مصطلحاً أفضل؛ فهو يُجَسِّد كلّ الميول المُسَبَّقة اللازمة لأيّ عملٍ أدبيٍّ، لكي يمارس تأثيره_ ميول سابقة لم يفرضها واقعٌ تجريبيٌّ خارجيٌّ_ بل يفرضها النّقد نفسه، وبالتالي فالقارئ الضمنيّ كمفهومٍ له جذورٌ راسخةٌ في بنية النصّ، إنّه معنىً ولا سبيل إلى الرّبط بينه وبين أيّ قارئٍ حقيقيّ**[57]".

---

[53] نقلاً عن : تاوريريت، بشير– راجح، سامية . **التفكيكية في الخطاب النقدي المعاصر، دراسة في الأصول والملامح والإشكالات النظرية والتطبيقية**، دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق: سوريا، ط1، 2008م، ص:50–51

[54] خيرة، قندسي. التفاعل بين النّصّ والقارئ– قراءة في نظريّة جماليّة التلقّي لدى ياوس وإيزر، **مجلّة النصّ**، كلّيّة الآداب واللغات والفنون، ع1، جامعة سيدي بلعباس، 2014م، ص: 132 .

[55] خيرة، قندسي: التفاعل بين النّصّ والقارئ– قراءة في نظريّة جماليّة التلقّي لدى ياوس وإيزر، ص: 130 .

[56] **الظاهراتيّة** : توكّد العلاقة بين النّصّ والقارئ، وبمعنى فلسفي بين الذات والموضوع، وقد يكون أهمّ ما في ذلك من تشابه هو الآليّة التي يتحرك عبرها القارئ في الموضوع؛ لتحصيل القراءة، فـ **رومان انجاردن** يؤسس نظريّة المستويات الأدبيّة، " فلكي نعرف بالتجربة عملاً أدبيّاً، ينبغي أن نمسَّ أولاً مستوى الرموز والأصوات بالسمع أو بالقراءة، ثمّ ندرك معاني الكلمات المفردة، ثمّ وحدات الدّلالة الكبرى التي تكوّنها وتحددها؛ ولاتلبث هذه الوحدات أن تعطينا المظاهر الموصوفة أو المحكيّة للموضوعات والأحداث الشيئيّة، هذه الموضوعات تمثّل بدورها مستوىً خاصاً يعتمد المظاهر، وتقوم عليه الصفات الميتافيزيقيّة والمثاليّة الأخيرة، على أنّه ينبغي ألا ننسى أن تجربة القراءة مثلاً، تلتقط الوحدات المتتابعة _أي الجمل_ بما تتضمنه من جميع المستويات". انظر: فضل، صلاح. **نظريّة البنائيّة في النّقد الأدبيّ**، منشورات دار الآفاق، بيروت: لبنان، ط3، 1985م، ص:320–321 .

[57] إيزر، ف: **فعل القراءة**. ترجمة: عبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة: مصر، ط1، 2000م، ص39_40 .

فالقارئ الضمنيّ حالةٌ ثقافيّةٌ من مُكَوِّنات النّصّ، وهو معيارٌ أساسيٌّ للإنتاج ومحصِّلةٌ لمجموع التأثيرات والاستجابات السّابقة التي تفرضها النّصوص، وتؤدّي إلى الحدود الدّنيا من عمليّات الفهم والتفسير والتذوُّق. ويُطلَق على انتقال القُرَّاء بين المستويات النصّيّة مفهوم وجهة النّظر الجَوَّالة، "**وهي تكشف الطريقة التي يكون فيها القارئ حاضراً في النصّ، فعندما نقرأ نصّاً ... النصّ بكامله لا يمكن أن يدركَ دفعةً واحدةً، بل يدرك من خلال وجهة النّظر المتحرّكةِ التي تتجوَّل في النصّ الذي ينبغي أن تدركه هذه الوجهة في المراحل المختلفة والمتتابعة للقراءة، فالإدراك بالترابط لا يحدث إلّا على مراحلَ، وكلُّ مرحلةٍ على حدة**[58]"، والقارئ في أثناء ذلك يسعى في عمليّة التفسير إلى ملء الفراغات النّصّيّة بالمعنى، وهو بذلك لا يهتمُّ بالنّصّ المتحقّق فحسب، وإنّما ينظر إلى ما وراء النّصّ إلى المسكوت عنه، ويسعى إلى إنتاج النّصِّ الكاملِ، وهو نصُّ القارئ، إذ " **يُستمال القارئ لبناء شيءٍ خياليّ، ويترتّب على ذلك أن يصبحَ تدخُّلُ القارئ أمراً حيويّاً لاكتمال النصّ، فليس لهذا وجودٌ مادّيٌّ إلا كواقعٍ مُمكنٍ، فالأمر يحتاج إلى فاعلٍ أي قارئٍ؛ لكي يتحوّل الممكن إلى واقعٍ. إذن فالنصّ الأدبيّ يوجد في البداية كأداةٍ للتوصيل، بينما تُعدُّ عمليةُ القراءةِ نوعاً من التفاعل الثنائيّ**[59]".

3 . **الفجوات** : استقى إيزر هذا المفهوم من مصطلح بقع الإبهام[60] لدى إنجاردن، فقد جعل عمليّة التفاعل بين النصّ والقارئ قائمةً على ملء هذه الفجوات، فالفجوات تُؤدّي" **وظيفةَ محورٍ، تدور حوله علاقة النصّ_القارئ برمتها**[61]" ، ونرى أنّ إيزر وضع هذ المصطلح ليدلَّ على عماد عمليّة التلقّي القائمة على الإثارة والجمال واستنطاق المعاني ومن ثمّ التواصل اللسانيّ، فحين تملأ الفجوات، يتحقَّق التواصل، ولاشكَّ في أنّ عمليَّة ردم الفجوات هي القيام بإجراءات التأويل التي تبدأ من المُصرَّح به في النّصّ؛ لتصل إلى المخفيّ والمُلَمَّح إليه.

4. **مفهوم الإستراتيجيّات:** هي أدواتٌ ثابتةٌ متعارفٌ عليها، تقوم بجملة العمليّات التي تنظّم مادّة النّصّ، أي الرصيد المعرفيّ والأدبيّ، وتقدّمها للقارئ بعد أن تضعها في سياقٍ مرجعيٍّ مُشتركٍ مع تجربته، "**وتؤدّي هذه المهمّة بطرائق عديدةٍ، فهي تحدّد الصلات بين مختلف عناصر الرصيد، وبذلك تساعد على وضع الأسس لإنتاج المتماثلات، وتعمل على إيجاد نقطة التقاء ... بعبارةٍ أخرى، تقوم الإستراتيجيّات بتنظيم مادّة النصّ والظروف التي يتمُّ توصيل تلك المادّة في ظلّها**[62]"، ففكرة إيزر في تحويل النصّ من غايةٍ إلى أداةٍ للتوصيل، تعطي تفسيراً جذّاباً لعمليَّة التلقّي.

المبحث الرابع: التلقي بين إيزر وبارت

شكّلت طروحات رولان بارت إضافةً فعليّةً إلى نظريّة التلقّي، إذ يقدّم بارت بشخصه وفكره نموذجاً للفكر في تلك المرحلة، ومقولة (موت المؤلّف L'a Mort De L auteur) التي قدّمها بارت في مقالٍ حملَ العنوان نفسه 1967م، كانت انعكاساً لمناخٍ ثقافيٍّ عامٍ، انعدمت فيه الثقة بمقولات الحداثة ومنطلقاتها الفكريّة، ممّا أشاع فكرة النهايات، فمقولة بارت (موت المؤلّف) هي استكمالٌ لمقولة نيتشه (موت الإله)، والنتائج التي أسفرت عنها هذه

---

[58] برهم، لطفية. اتّجاهات تلقّي الشعر في النقد العربيّ الحديث، **مجلّة علامات في النقد**، الفلاح للنشر والتوزيع، مج9، الجزء:35 بيروت: لبنان، 2000م، ص: 262.

[59] إيزر، ف: **فعل القراءة**، ص: 72 .

[60] المرجع السابق،ص:75

[61] خيرة، قندسي: **التفاعل بين النّصّ والقارئ– قراءة في نظريّة جماليّة التلقّي لدى ياوس وإيزر**، ص: 135 .

[62] إيزر، ف: **فعل القراءة**، ص: 95 .

تنسجم مع النتائج التي أدّت إليها تلك. فنيتشه قدّم نسقاً فكريّاً بديلاً ممّا كان، وبارت أحلّ نسقاً نقديّاً مُلغِياً ما كان، وقد كتب بارت في عام 1968م:" **نعرف الآن أنّ النصَّ ليس بسطرٍ من الكلمات التي تحرُّر المعنى لاهوتيّاً وحيداً إله_ رسالة_ نبي، بل هو حيّزٌ متعددُ الأبعادِ، تمتزجُ وتتصادمُ فيه تنويعاتٌ من الكتابة، ليس منها ما كتب في الأصل**[63] " ، فأعلن رولان بارت ولادة القارئ مقدّماً نوعين من النصوص: النصُّ القرائيّ والنصُّ الكتابيّ:" **النصُّ القرائيّ هو النصُّ الحديث الذي يدعو إليه بارت، وهو نصٌّ يمثّل الحضور الأبديّ، والقارئ أمام هذا النّصّ ليس مستهلكاً، وإنّما هو منتجٌ له، والقراءة فيه هي إعادةُ كتابةٍ له، وهذا النصّ هو حلمٌ خياليٌّ من الصعب تحقُّقه أو إيجاده، ولكنّه مع ذلك مطلبٌ سامٍ للأدب والقارئ هنا لا يقرأ، وإنّما يفسّر ويكتب؛ لأنّ النصّ ليس بنيةً من الدلالاتِ، ولكنّه مجرّةٌ من الإشارات، وهو نصٌّ لا بدايةَ له، كما أنّه قابلٌ للانعكاس الذاتيّ على نفسه**[64]"، ثمّ انطلق بارت لتحديد معالم القارئ والشروط الواجب تحقيقها للقراءة، فالذاتُ تمثّلُ فعاليّةً، تبحث عن معادلاتها الموضوعيّة، فهي تتعرَّضُ لأخطارٍ متعدّدةٍ من أهمّها: المجاز وخطر الغياب وخطر القارئ، وقد كان لابدّ لها، لكي تؤكّدَ حضورها، وتضمنَ بقاءها، وتبلغَ كمالها، من أن تحاربَ المجاز، وتقدّسَ الوضوح، وتعتقلَ القارئ، فالغياب في الأعمال أكثرُ من الحضورِ، والغموض أنفذُ من الوضوح، والنّقصُ ألذُّ من الكمال، والقارئ صفحةُ البياضِ التي تجسّدُ جسدَ النّصّ[65]؛ لذلك كانت عائديّةُ النّصّ إلى مؤلّفه تعني حصر النّصّ في مدلولٍ نهائيّ ثابتٍ، أي إغلاق الكتابة= إغلاق المعنى، فالبحث عن معنى المعنى، يُوجبُ تجاوز الأفكار المُسَبَّقة التي تَحدُّ من معنى النصّ في نظر القارئ، وبذلك تتحقَّق عمليّة التواصل بين الماضي والحاضر بإدخال السياقات التاريخيّة، ممّا يُتيح تفاعلَ عناصرِ العمليّةِ الإبداعيّةِ جميعِها(النصّ، المؤلّف، القارئ)؛ لذلك رأى بارت ضرورةَ موت المؤلّف، وتحويل التاريخ والموروث إلى نصوصٍ متداخلةٍ، تحتفلُ بمولد القارئ، فالنّصّ لايمكن حصره بمعانٍ ثابتةٍ، إنّما يُفسَّر بعددٍ لامتناهٍ من الدّلالات، هذا ما أسماه بارت بـ الانتشار[66]. فالمعنى هو سلسلةٌ من الدّلالاتِ التي تولّدت بالمؤسَّسة الأدبيّة والشفرات الخطابيّة الثقافيّة، والوصول إليه يتمُّ من خلال استخدام آليّةٍ إجرائيّةٍ تبدأ بفهم المعنى لتنتهي بالتعامل معه، أي إنّ المعنى ليس تمثيلاً ولا تواصلاً، إنّما يتأسَّسُ بتحليلٍ، يتعامل مع البنيةِ النّصّيّةِ الدّاخليّةِ، ويهملُ الخارج السياقيّ؛ لغرض الكشف عن فضاءات المعنى النّصّيّ بعيداً عن قيود ثقافة المؤلّف وظروفه وبيئته، في حين أنّ التحليل البنيويّ لم يكن يهدف إلى تأويل النصّ تأويلاً باطنيّاً، يُظهر حقيقته وبنيته العميقة، فهو يرى أنّ كلّ معاني النّصّ ظاهرةٌ للعيان، وليس عليه أن يبحثَ عن معانيها المضمرةِ؛ فهو يختلفُ عن المناهجِ النقديّةِ التي تسعى إلى الوصول إلى السّرِّ المقدّسِ للنّص[67]، لهذا شبَّه بارت العمل الأدبيّ بالثمرة ذاتِ الطبقاتِ المتعدّدةِ، فالنصّ ليس مجموعةً من الكلمات، تنتجُ معنىً أحاديّاً أو لاهوتيّاً، إنّما هو فضاءٌ لأبعادٍ متعدّدةٍ، تتزاوج فيها معانٍ مختلفةٌ، وتتنازع من دون أن يكون أيٌّ منها أصليّاً، "**فالنصُّ نسيجٌ لأقوالٍ ناتجةٍ عن ألفِ بؤرةٍ من بؤر الثقافة**[68] "، وقد عدّ

---

[63] Barthes.Roland. **Image,Music,Text,**essays selected and tr;Stephen Heath. New York.Hill and Wang, 1977, p:146

[64] الغذامي، عبد الله . **الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية قراءة نقدية لنموذج معاصر**، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة : مصر، ط1، 1998م، ص: 75.

[65] انظر: بارت، ر. **لذّة النّصّ**، ترجمة: منذر عياشي ، مركز الإنماء الحضاري، حلب: سورية ، ط1 ، 1992م، ص :13 .

[66] انظر: الغذامي ، عبد الله: **الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية قراءة نقدية لنموذج معاصر**، ص: 75

[67] انظر: بارت، ر .**التحليل النّصّي ...تطبيقات على نصوص من التوراة والإنجيل والقصّة القصيرة**، ترجمة: عبد الكريم الشرقاوي، دار التكوين، دمشق: سورية، 2006م، ص : 32 .

[68] بارت، ر: **نقد وحقيقة**. ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاريّ، حلب: سورية، ط1، 1994م، ص :21 .

بارت اللحظات الحيّة عتبةً أوّليّةً لفهمِ البنيةِ النّصّيّةِ، فـ التلقّي المُنتِج ليس سيطرةً على الذات فحسب، وإنّما إشعارها باللذة[69].

كانت هذه المقولات كافيّةً؛ لإظهار التقارب مع إيزر وياوس، ولإعادة توجيه النظريّة النقديّة، فالنصُّ منذ صناعته وحتّى قراءته، يُقرأ بشكلٍ يغيب فيه المؤلّف غياباً كاملاً، ممّا دفع بارت إلى أن يستبدلَ بكلمة المؤلِّف كلمةَ (الكاتب Le Scripteur)، حتّى يوحي بتقليص أثر المؤلّف وانتهاء عمله بانتهاء كتابة النّصّ، والكاتب وفقاً لبارت ليس في داخله عواطفُ ولا مشاعرُ ولا انطباعاتٌ، إنّما يستمدُّ كتابته (النشاط اللفظيّ) من ذلك القاموس الضخم، " **فالحياةُ لا تعرفُ شيئاً سوى أن تحاكي الكتب، وما الكتب ذاتها إلّا مجرّد أشياءٍ مصنوعةٍ من العلامات**[70]".

سعى بارت في مقولاته إذن إلى تخليص النقد من الفروض المُسَبَّقة، وهي الخطوةُ الأكثرُ منهجيّةً في المنهج الفينومينولوجيّ[71]، فالمقاربةُ النقديّةُ البارتيّةُ، تنطلق من داخل النّصّ إلى خارجه، وليس من خارجه إلى داخله بهدف كشف أنظمته وعلاقاته التي تبني معناه، وقد ذكر بارت في كتابه (النقد والحقيقة) أنّ النقد البيوجرافيّ الذي يستند إلى العلاقة بين النصّ والمؤلّف قد انتهى[72]، فاللغة عند بارت رفضٌ جيّاش أو شبَقٌ، وتقوم بوظيفةٍ، يعجز من دونها الإحساس أو الحدس[73] ، لذلك فإنّ " **ميلاد القارئ رهينٌ بإعلان موت المؤلف**[74]"، فبارت وهبَ القارئ لجامَ النصّ ومنحَهُ الحرّيّةَ المطلقةَ في التأويل، هذا التأويل الذي لا تحدّه بنيةٌ نصيّةٌ ولا افتراضاتٌ مُسَبَّقةٌ، فعلى القارئ وحده مهمّةُ إغلاقِ النّصّ، وبهذا يكون ما قدّمه بارت أساساً معرفيّاً لما جاء به إيزر.

وقد كان لقتل البنيويّة للقارئ، والنّظر إلى النّصّ الأدبيّ بوصفه بنيةً مغلقةً لا علاقةَ لها بالذّات المتلفِّظة وبسياق التلفُّظ سببٌ في إثارة ردودِ فعلٍ متباينةٍ، أسهمت في بلورةِ خطابٍ نقديٍّ، يحتفي بالعلاقة المتبادلة بين القارئ والنّصّ، إذ يُنظر إلى القراءة بما هي فعاليّةٌ، تعيدُ كتابةَ النصّ المرصود للقراءة[75].

المبحث السادس: التلقي بين إيزر ودريدا

يلتقي إيزر مع دريدا في إعلاءِ شأنِ القارئ، وفي تحرير المعنى من قيد القراءة الأحاديّة المغلقة والمرتبطة بمدلولٍ محدَّدٍ ونهائيّ. من هنا كانت المقولة التفكيكيّة (كلُّ قراءةٍ هي إساءةُ قراءةٍ)، فالقارئ وحده يحدّد المعنى، ولكلّ قارئٍ قراءاته الخاصّة به، ممّا يؤدّي إلى اللعبّ الحرّ بالدّوال[76]. فالقارئ لاعبٌ بالمفهوم التفكيكيّ[77]، لكنّ الاختلاف بينهما يكمن في أنّ القراءة التفكيكيّة تفتح المجال ليس لخيال القارئ وتصوُّراته فحسب بل لفضاء النّصّ وإشاراته أيضاً، إذ تسعى إلى تفجير النّصّ انطلاقاً من مبدأ اللاتماسك، وإنتاج معانٍ غير قابلةٍ للتجميع وفقاً للتصوُّر

---

69 انظر: بيلسي، ك. **الممارسة النقدية**، ترجمة وتقديم: د. فؤاد عبد المطلّب، دار التوحيدي للنشر والتوزيع، حمص: سورية، ط1، 2003م، ص: 74 وما بعدها.

70 ثودي، ف: **بارت**. ترجمة: جمال الجزيري، المركز القوميّ للترجمة القاهرة: مصر، 2003م، ص 116 .

71 انظر: توفيق، سعيد. **الخبرة الجماليّة**، دار الثقافة القاهرة: مصر، 1998م، ص: 28 .

72 انظر: بارت، ر. **النقد والحقيقة**، ترجمة: إبراهيم الخطيب، الشركة المغربيّة للناشرين المتحدين، الرباط، 1985م، ص: 103 .

73 انظر: ناصف، مصطفى: **اللغة والتفسير والتواصل**، ص:226 .

74 انظر: بارت، ر: **النقد والحقيقة**، ص: 87 .

75 انظر: بنحدو، رشيد .العلاقة بين النّصّ والقارئ في التفكير الأدبيّ العربيّ المعاصر، المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب، **مجلّة عالم الفكر**، ع1–2، مج23، الكويت: الكويت، 1994م، ص: 472 .

76 انظر: حمودة، عبد العزيز. **المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت: الكويت، سلسلة عالم المعرفة، ع232. ط1، 1998م، ص: 308

77 انظر: سلطان، فارغا. الألعاب في النظريّة الأدبيّة، ترجمة : عثمان الجبالي، **المجلّة العربية**، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، ع 104، الرياض: السعودية، 2010م، ص:72.

الدريديّ، فتغدو العلامة اللغويّة في موضع تشويشٍ بين المعنى المرجعيّ والآخر المجازيّ، فالقارئ لايستطيع ضبط معاني النّصّ؛ إذن، التفكيكيّة تُعَرِّي النّصّ، وتكشف أسراره، وتجعله يكشف عمّا لم يقله صراحةً، وإنّما ضمناً[78] .

حيث تتقاطع نظريتا التلقي عند فولفغانغ إيزر وجاك دريدا في نقطةٍ محوريةٍ، تتمثل في إعادة الاعتبار للقارئ بوصفه عنصراً فاعلاً في إنتاج المعنى، وفي نقض فكرة المعنى الثابت الأحادي الذي يُملى من النّصّ أو المؤلف .غير أنّ هذا الالتقاء، رغم أهميته، يُخفي وراءه تمايزاً جوهريّاً في المنطلقات الفلسفيّة وآليات التلقي، ممّا يجعل المقاربتين، تمثلان رؤيتين متباينتين لطبيعة العلاقة بين القارئ والنّصّ[79].

بهذا المعنى، يؤسس إيزر تصوره للتلقي انطلاقاً من منظور ظاهراتي–تأويلي، ينظر إلى النّصّ الأدبيّ باعتباره بنيةً مفتوحةً، تحتوي على فراغاتٍ أو ثغراتٍ، لا يكتمل معناها إلّا من خلال تفاعل القارئ معها. ففعل القراءة، في هذا السياق، لا يُعد عملية استهلاك للنّصّ، بل شراكة بين البنية النّصيّة وتوقعات المتلقي، ضمن ما يسمّيه بـ"القارئ الضمني" الذي يُستدعى من داخل النّصّ، ويُفترض امتلاكه كفاءةً تأويليّةً، تؤهله لملء تلك الفراغات. وعلى هذا الأساس، يظل المعنى في نموذج إيزر نتيجة جدلية بين النّصّ والقارئ، يخضع لتأثيرات أفق التوقع، لكنّه لا ينفلت من حدود معقولة للتأويل[80].

أما دريدا، فيقارب فعل التلقي من منظور تفكيكيّ–ما بعد بنيويّ، يرفض أيّ مركزيّة للمعنى، بل يشكك أصلاً في إمكانية تحقق المعنى الثابت. فالنّصّ، وفق رؤيته، ليس كياناً منطقيّاً متماسكاً، بل هو شبكةٌ من العلامات التي تنزلق باستمرار عبر ما يصطلح عليه بـ"الاختلاف/الإرجاء، وبهذا يصبح المعنى في حالةٍ دائمةٍ من التأجيل واللانهائية، ما يجعل كلّ قراءةٍ، لا استجابةً للنص بل تفجيراً له وكشفاً لانزياحاته وصمته، فالمقولة التفكيكيّة الشهيرة "كلُّ قراءةٍ هي إساءة قراءة"، تعني أنّ كلّ فعلٍ تأويليٍّ هو بالضرورة زعزعةٌ لما يبدو مستقراً، ونقضٌ لمركز دلاليّ موهوم.

وبينما يحتفظ إيزر بقدرٍ من الثقة في وجود بنيةٍ نصيّةٍ قابلةٍ للفهم المشترك عبر التفاعل التأويليّ، فإنّ دريدا يزعزع تلك الفرضية، معتبراً أنّ النّصّ، يرفض الانغلاق على دلالةٍ واحدةٍ، ويُنتج باستمرار تشويشاً دلاليّاً بين ما هو ظاهرٌ وما هو مسكوتٌ عنه، بين المرجعيّ والمجازيّ، ما يجعل القراءة عمليةٌ لا نهائية من التقويض والتأجيل[81].

---

[78] انظر: وغليسي، يوسف. **مناهج النقد الأدبي**، دار جسور للنشر والتوزيع، الجزائر: الجزائر، ط1، 2007م، ص: 175

[79] بعلي، حفناوي. **مسارات النقد ومدارات ما بعد الحداثة**. عمان: الأردن . دار اليازوردي العلمية،2007م، ص: 245

[80] البنكي، محمد أحمد . **دريدا عربياً قراءة التفكيك في الفكر النقدي العربي**. ط1. بيروت/ عمان. المؤسسة العربية للدراسات والنشر ودار الفارس، 2005م، ص: 211

[81] البنكي، محمد أحمد. **هل يوجد تفكيك في هذه الغرفة، ضمن كتاب: جاك دريدا الآن؟ ماذا عن غدٍ؟ الحدث، التفكيك، الخطاب**، إشراف وتحرير: محمد شوقي الزين. ط1. بيروت: لبنان. الجزائر: الجزائر ،2011م، ص: 81

ولتجلية الفوارق المنهجية بين الطرفين، يمكن إبرازها وفق الجدول التالي:

مجال المقارنة	فولفغانغ إيزر	جاك دريدا
طبيعة النّصّ	بنيةٌ مفتوحةٌ، تستدعي القارئ لملء الفراغات.	شبكةٌ غير متماسكة من العلامات، تفضي إلى انزلاق المعنى
دور القارئ	متفاعلٌ ومكمّلٌ لمعنى، يتشكل جدليّاً مع النّصّ.	مفككٌ، يكشف تناقضات النّصّ، ويفكك سلطته
المرجعية الدلاليّة	قائمة ضمن أفق التأويل المعقول	معدومةٌ، وكلُّ معنى مؤجل ومفتوح على لا نهائية
هدف القراءة	خلق انسجام تأويلي نسبي داخل النّصّ	خلخلة البنية النّصيّة وكشف هشاشتها
الخلفية الفلسفيّة	تأويليّة وظاهراتيّة	ما بعد بنيويّة وتشكيكيّة تجاه الميتافيزيقا الغربيّة

يتضح من خلال الموازنة أنّ مفهوم التلقي عند إيزر يتسم بمنزعٍ تركيبيٍ، يسعى إلى إعادة بناء المعنى ضمن حدود البنية النّصيّة، بينما ينحو دريدا إلى منزعٍ تفكيكيٍ، يهدم هذه البنية ويكشف عن لا استقرارها الداخليّ، وإذا كان إيزر يمنح القارئ سلطةً مؤطرةً بحدود النّصّ، فإنّ دريدا يحرّره من أيّ قيدٍ مرجعيّ أو دلاليّ، فيحوّل فعل القراءة إلى رحلةٍ لا نهائية داخل دوامات المعنى المؤجل .وعلى هذا النحو، تتباين النظرتان لا في مكانة القارئ فحسب، بل في جوهر العلاقة بين اللغة، والنّصّ، والمعنى.

الخاتمة

من كلِّ ما تقدَّم نجد أنّ نظريّة التلقّي تفتح الباب أمام القارئ، لكي يتصرَّف بمعاني النّصوص الأدبيّة في التفسير والتأويل، ممّا يسمح بتعدُّد القراءات التي تُخصِبُ المعنى وتغنيه، وتسيرُ نظريّة التلقّي في مسارين، أوّلهما: يهتمُّ بوصف النصّ الأدبيّ وصفاً علميّاً بعيداً عن أيّ تأويلٍ، وثانيهما: يهتمُّ بالمعنى، ويغلب عليه النّظر التأويليّ.

النتائج

1. انطلقت نظرية التلقي من تجاوز النّصّ والمؤلف؛ وفعّلت دور القارئ بمنحه سلطاتٍ مطلقةً في تحديد الدلالة وخلق المعنى، لكنّها غرقت في الأُطر النظريّة، ممّا عمّق الخلاف حول معنى النّصّ عند النقاد، إذ يبقى هدف القراءة النقديّة تحديد المعنى، لذلك لمّا نصل بعد إلى منهجٍ قادرٍ على دراسة النّصّ الأدبيّ وتحديد فعاليته من خلال تصورٍ نقديّ متكامل الأبعاد.
2. طوّر إيزر مفهوم القارئ، ووضع إستراتيجيّة للقراءة، تتحدد ملامحها في ثلاثة عناصر، أولها: النصّ، وثانيها: كيفية مقاربة النّصّ بالقراءة، وثالثها: البنيّة الإبلاغيّة للأدب.
3. خالف إيزر ياوس في المعالجة اللغويّة لنظريّة التلقّي، ففي حين اهتمّ ياوس بالتاريخ الأدبيّ عند تلقّي النّصّ، نظر إيزر إلى أنّ سيرورة القراءة، تقوم على نوعين من الصراع، أوّلهما: التوتُّر القائمُ بين السّنن الاجتماعيّ والثقافيّ للقارئ والطبيعة الحديثة للنّصّ، فالنّصوص الأدبيّة تعيد تسنين السّنن بالانتقاء والتوليف، وثانيهما:

ينشأ من كون البناء المتماسك، يؤدّي إلى متولياتِ فكرٍ موجودةٍ في ذهن القارئ، وذلك بتتبُّع التّوجيهات التي عرضتها العلامات اللسانيّة في النّصّ.

4. شكّلت طروحات رولان بارت إضافةً فعليّةً إلى نظريّة التلقّي، فقد حدّد معالم القارئ والشروط الواجب تحقيقها للقراءة، فكانت طروحاته بمنزلة أساسٍ معرفيّ لما جاء به إيزر.
5. يلتقي إيزر مع دريدا في إعلاءِ شأنِ القارئ، وفي تحرير المعنى من قيد القراءة الأحاديّة المغلقة والمرتبطة بمدلولٍ محدَّدٍ ونهائيّ. من هنا كانت المقولة التفكيكيّة (كلُّ قراءةٍ هي إساءةُ قراءةٍ)، فالقارئ من يحدّد المعنى.

المراجع

أولاً: المصادر

1. تاوريريت، بشير– راجح، سامية . **التفكيكية في الخطاب النقدي المعاصر، دراسة في الأصول والملامح والإشكالات النظرية والتطبيقية**، دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق: سوريا، ط1، 2008م
2. توفيق، سعيد. **الخبرة الجماليّة**، دار الثقافة، القاهرة: مصر ، 1998م.
3. حمودة، عبد العزيز. **المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت: الكويت. سلسلة عالم المعرفة، ع232. ط1، 1998م.
4. خضر، ناظم عودة. **الأصول المعرفيّة لنظرية التلقّي**، دار الشرق، عمان: الأردن، ط1، 1997م
5. شرفي، عبد الكريم. **من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة– دراسة تحليلية نقديّة في النظريات الغربية**، الدار العربية ناشرون، الجزائر: الجزائر، ط1، 2007م.
6. عبّاس عبد الواحد، محمود. **قراءة النّصّ وجماليات التلقّي بين المذاهب الغربيّة الحديثة وتراثنا النقديّ**، دار الفكر العربيّ، القاهرة: مصر، ط1، 1996م
7. عبود، عبده. **هجرة النصوص، دراسات في الترجمة الأدبية والتبادل الثقافي**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق: سوريا، ط1، 1995م
8. عزام، محّمد. **التلقّي والتأويل، بيان سلطة القارئ في الأدب**، دار الينابيع، دمشق: سورية، ط1، 2007م
9. الغذامي ، عبد الله. **الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية قراءة نقدية لنموذج معاصر**، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة : مصر، ط1، 1998م.
10. فضل، صلاح. **نظريّة البنائيّة في النّقد الأدبيّ**، منشورات دار الآفاق، بيروت: لبنان، ط3، 1985م
11. المبارك، محمّد. **استقبال النصّ عند العرب**، المؤسَّسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت: لبنان، ط1، 1999م.
12. مرتاض، عبد الملك. **نظريّة القراءة _ تأسيس للنظريّة العامّة للقراءة الأدبيّة**، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر: الجزائر، ط1، 2003م.
13. ناصف، مصطفى. **اللغة والتفسير والتواصل**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت: الكويت، ط1، 1995م.
14. وغليسي، يوسف. **مناهج النقد الأدبي**، دار جسور للنشر والتوزيع، الجزائر: الجزائر، ط1، 2007م

ثانياً: الكتب المترجمة

1. إيزر، ف. **فعل القراءة**، ترجمة: عبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة: مصر، ط1، 2000م.

2. إيزر، ف. **فعل القراءة، نظريّة جماليّة التجاوب (في الأدب)**، ترجمة: حميد لحمداني، الجلالي الكدية، مكتبة المناهل، فاس: المغرب، 1995م.
3. بارت، ر. **التحليل النّصّي ...تطبيقات على نصوص من التوراة والإنجيل والقصّة القصيرة**، ترجمة: عبد الكريم الشرقاوي، دار التكوين، دمشق: سورية، 2006م
4. بارت، ر. **لذّة النّصّ**، ترجمة: منذر عياشي ، مركز الإنماء الحضاري، حلب: سورية ، ط1 ، 1992م
5. بارت، ر. **النقد والحقيقة**، ترجمة: إبراهيم الخطيب، الشركة المغربيّة للناشرين المتحدين، الرباط، 1985م
6. بارت، ر. **نقد وحقيقة**، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاريّ، حلب: سورية، ط1، 1994م
7. بروكر ، ب. **الحداثة وما بعد الحداثة**، ترجمة: عبد الوهاب علوب، منشورات المجمع الثقافي، دبي: الإمارات العربية المتحدة، 1995م.
8. بعلي، حفناوي. **مسارات النقد ومدارات ما بعد الحداثة**. عمان: الأردن . دار اليازوردي العلمية،2007م
9. البنكي، محمد أحمد . **دريدا عربياً قراءة التفكيك في الفكر النقدي العربي**. ط1. بيروت/ عمان. المؤسسة العربية للدراسات والنشر ودار الفارس، 2005م
10. البنكي، محمد أحمد. **هل يوجد تفكيك في هذه الغرفة، ضمن كتاب: جاك دريدا الآن؟ ماذا عن غدٍ؟ الحدث، التفكيك، الخطاب**، إشراف وتحرير: محمد شوقي الزين. ط1. بيروت: لبنان. الجزائر: الجزائر،2011م
11. بيلسي، ك. **الممارسة النقدية**، ترجمة وتقديم: د. فؤاد عبد المطلّب، دار التوحيدي للنشر والتوزيع، حمص: سورية، ط1، 2003م
12. ثودي، ف: **بارت**. ترجمة: جمال الجزيري، المركز القوميّ للترجمة القاهرة: مصر، 2003م
13. راي، و. **المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التفكيكية**، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، دار المأمون، بغداد : العراق، 1987م.
14. سي هول، ر. **نظريّة الاستقبال مقدّمةٌ نقديّةٌ**. ترجمة: رعد عبد الجليل جواد، دار الحوار، اللاذقية: سورية، ط1، 1992م.
15. عدة مؤلفين. **في نظرية التلقّي**، ترجمة: الدكتور غسّان السّيّد، دار الغد، دمشق: سورية، ط1، 2000م
16. مجموعة من المؤلفين، **موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي، القرن العشرون المداخل التاريخية والفلسفية والنفسية**. مراجعة وإشراف: رضوى عاشور. المشرف العام: جابر عصفور. ط1. القاهرة : مصر. المجلس الأعلى للثقافة، 2005م
17. هولب، ر. **نظريّة التلقّي مقدمّة نظريّة**، ترجمة: عزّ الدّين إسماعيل، المكتبة الأكاديميّة، القاهرة: مصر، ط1، 2000م.

ثالثاً: الدوريات

1. إبراهيم، نبيلة. القارئ في النّصّ، نظريّة التأثير والاتّصال، **مجلّة فصول**، الهيئة العامّة المصريّة للكتاب، ع1، مج: 5، القاهرة: مصر، 1984م
2. برهم، لطفية. اتّجاهات تلقّي الشعر في النقد العربيّ الحديث، **مجلّة علامات في النقد**، الفلاح للنشر والتوزيع، مج9، الجزء:35 بيروت: لبنان، 2000م.
3. بنحدو، رشيد. العلاقة بين النّصّ والقارئ في التفكير الأدبيّ العربيّ المعاصر، المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب، **مجلّة عالم الفكر**، ع1–2، مج23، الكويت: الكويت، 1994م
4. خيرة، قندسي. التفاعل بين النّصّ والقارئ– قراءة في نظريّة جماليّة التلقّي لدى ياوس وإيزر، **مجلّة النصّ**، كلّيّة الآداب واللغات والفنون، ع1، جامعة سيدي بلعباس، 2014م
5. سلطان، فارغا. الألعاب في النظريّة الأدبيّة، ترجمة : عثمان الجبالي. **المجلّة العربية**، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، ع 104، الرياض: السعودية، 2010م
6. عبد العظيم، حاتم. النّصّ السرديّ وتفعيل القراءة، **مجلّة فصول**، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ع3، مج16، القاهرة: مصر، 1997م
7. عزيز محمد عدمان. دور الانفتاح في قراءة النصّ الأدبيّ، **عالم الفكر**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ع23، مج 37، ، الكويت: الكويت، 2009م
8. ملياني، محمد. تلقّي النّصّ الأدبيّ بين التأسيس والآفاق، **مجلّة الموقف الأدبيّ**، اتحاد الكُتَّاب العرب في سورية، ع403، دمشق: سورية، 2004م
9. الواد، حسين. من قراءة النشأة إلى قراءة التقبّل، **مجلّة فصول**، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ع1، مج: 5، القاهرة: مصر، 1984م.

رابعاً: المصادر الأجنبيّة

1. Barthes.Roland. **Image,Music,Text,**essays selected and tr;Stephen Heath. New York.Hill and Wang , 1977